

شجر هارب في الخرائط شذرات

شجر هارب في الخرائط شذرات

إبراهيم زولي



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى

1435 هـ - 2014 م

ردمك 2-1034-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة

هاتف: + 96673174000

فاكس: + 96673175107

جازان - المملكة العربية السعودية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص. ب: 13-5574 شوران - بيروت 1102-2050 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp. com. lb

الموقع على شبكة الإنترنت: <http://www. asp. com. lb>

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو الكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو بأية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

التنضيد وفزر الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (+9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (+9611)

استهلال

كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة.

النفري

إن مرمي أن أقول في عشر جمل ما يقوله غيري في كتاب...
ما لا يقوله في كتاب بأكمله.

نيتشه

أكتب الشذرة ليتسنى لي التناقض مع نفسي. التناقض جزء لا
يتجزأ من طبعتي، وطبيعة الناس جميعاً على كل حال.

سيوران

المحتويات

11	شجرة الليل - مغزول بابر الفقد والهزيمة.....
23	شجرة المرأة - أكثر فتنة من الباطل.....
39	شجرة القصيدة - مهرجان الألم.....
59	شجرة العزلة - يكاد صمتها يضىء.....
71	شجرة الآخرين - نصل رهيف.. اسمه الذكرى.....
85	شجرة الحزن - محراث الكتابة، وأول من يتحرّش بالقصيدة.....
95	شجرة اللوعة - ملائكة يتعاقبون على ظلّها.....

شجرة الليل

مخزول بابر الفقد والهزيمة

في الليل، في الليل فقط؛ الجنون حكمة، والذكريات حيّة تسعى!
عندما تحضرين في البال، أسراب من الطيور تحطّ على ناصيتي.
كانت الشمس تشتبك مع العتمة، حين تهجيت على يديك،
كلمة "ح ر ي ة"، في الفناء الخلفي للبيت، دون خوف من
القتلة.

كعاشق (على الأقل) أقدرّ لك هذا الدور التاريخي، الذي جعلني
أحبّ العذاب فجأة.

السمرّة المفرطة في وجوه الجنوبيين، ليست بسبب الشمس
المسعورة في سماواتهم، إنها حزن شرّس، يفترس قاماتهم منذ
ساعات ولادتهم الأولى.

ليلك أشعث أغبر، وأنت مدحج، عمراقتك الأولى،
يا للفضيحة!

الأبجدية تفتح صدرها، وتقول لك دون حياء: هيت لك.
منذ سنوات، وأنت تحتكرين القصيدة. لم أعرف، أنك بهذا
الغموض المقدس يومئذ.
على شرف الليل، تقيمين حفلا أمميا في جسدي.
النهار: سلالة معدلة من الليل، منزوع عنها الوحشة.

سأغامر باليقين، حتى لا تتكرّر المذبحة.

في الليل، ما لا يشبه الليل!

الخرائط شاخصة في حضرة العطش، - عطش لا مجاز به - والماء
لا يهتزّ له جفن.

في ساعات الضحى، تتجمهر القصائد حول ظلالك، في انتظار
حصّتها.

أيتها الأيام.. لا أحب مزاحك السخيف.

جسدك سيدي، تحوّل إلى مرافعة تاريخية، للدفاع عن الجمال المطلق.

أريد ظلاماً، يكفل لي عربي.

لا يزال أمامنا وقت لنشتري وسائد للذكريات، ونحشوا الرمل في وجوه النائمين.

أعزلاً، في انتظار الساعة التي يفرغ فيها الليل رصاصة الرحمة.

في الطرق المكتظة بالمارّة، يعانق ظلّي جسدك بوحشيّة، دون أن نشعر بتأنيب الضمير.

تغمض عينيها ثم تهمس: إياك إياك أن تقرب الشجرة.

ها نبصر نيرانهم تتصاعد من كل الجهات، يؤججون عداواتهم، لا ضوء لهم إلا مشعل الفتنة، وأشباحهم التي يصطحبونها منذ الأزل.

كيف تمرّين في البال، ولم تطرقي باب القصيدة!

لا تكتب شيئاً، حين لا تكون السماء قرية منك.

عندما تكونين قرية، لا أجروا على إطفاء المصابيح. جسّدك معبد بوذي، له طقوسه المقدسة.

لم أعد أكثر ث للثقوب الكثيرة في قميص الليل.
القصائد الضالّة التي كتبها الشعراء في الصيف الماضي، تجلس الآن
هادئة أمام صورتك، وتفوح منها رائحة غريبة.
هذا السلم العالي من الحنين، ولم أصل إليك بعد!
قدماك غارقتان في ماء حيائي.
تحت نافذة الغواية، تهزمني سنابلك دائماً.

من أين لي بعيون تبصر بساتين جسدك اللاهائية.. عينان لا
تكفيان!

يصطاده المطر.. من ليس له مظلة.

هذا الجسد الذي أسكنه، لم يعد يكثرث بي كثيرا.

قلب الشاعر مغزول بإبر الفقد والهزيمة.. تعالوا لتروا الدم المبحّل.

قل لنا أيها الشاعر: كيف انتخبتك الكوارث، وقلدتك تيجانها؟

وحيدان، أنا والتبع، نصطاد فراشات الليل.
في الثلث الأخير من الليل، قصف مكثف من الوجد على قلوب
العاشقين.
البرد يقطع المسافة بين جسدين في قبلة واحدة.
الفجر محبرة الأمل، وغناء يمجّد الحياة.
لا معنى للجدران، دون كتابة العشاق المهمشين، ورموزهم
السرية!.

ليس هناك داع للخجل.. لا أحد بينكم يليق بالموت.
في ساعات الفجر الأولى، يستعيد الليل ضوء عينيه.
رأسي نافذة مفتوحة، هذا صحيح، لكنها لا تطلّ على أحد.
"ضمد" مدينة ترهق المعنى، وتحتفي بآخر عشاقها، المبلل بالغواية.

تنأب في هداة الفجر، ثم ألقى عصاه، وخلفها رائحة التبغ
الشم.

سئمت من مهانة الأرق، وهو يحرق حقول الروح بمخلب
قاس.. بالتأكيد له مبرراته السرية!!

يرغب في ابتسامة، لكن ملائكة الفرح لم تأت بعد!

ها أنت مصلوب في حقل الكلام، ترفع يمينك مهددا بالقصيدة،
وطعم اللهب في فمك.

شجرة المرأة

أكثر فتنة من الباطل

في غيابك، يتحالف الحطّابون والقتلة، ثم يلقون بوجهي بعيداً،
بعيداً في أقاصي الليل!!

أثر قدميك الحافيتين على القصيدة، دليل الأعمى، وبصيرة
الفقراء.

أعطيني ليلاً آخر، لأنني ببساطة خسرتُ معك الجولة الأولى..
نعم خسرت!

الحنين فوضى الهزيمة، وعري الخييات!!

على نحو خاص، يتعقّب وجهك القصيدة، إلى أن يفضي بها إلى
التيه!!

لا تزال النساء الجميلات، والمطر الذي يبلّ ثيابنا، والرغبات
السريّة تحرق في الشاعر طويلاً ليكتب عنها، ويخلع عليها الأسماء.
يؤجّل الجسد مشاريعه، ريثما يحلّ الليل، ثمّ ترقص الشياطين،
على فوضى إيقاعه!!

بيننا موعد في المنام.. فلا تخلفيه!!

دون غيمها.. كل الجهات ظمأ.

هي بالطبع تفهم معنى أن أكون بارداً، ومجرداً من الضمير!

لا أعرف كيف يتوحّش هذا الليل في غيابك!!
في زمن الفقد، لا سند للعاشقين سوى مخيلتهم!!
تقولين: لا. لكنّ جسدك يقول نعم!!
في الليل تنوهج أعضاؤنا!!
سواك.. كل ذكرى نحاس!
تغدر بنا الحكايات، حين ندخل في قلب التجربة.

الذكريات: الخراب الجميل الذي تحرسه ظلال الروح بطريقة تثير
الشفقة.

الكآبة مفردة ناعسة، وبرد لئيم.

المرأة: اللهاث المحموم، الذي يطلّ من شرفات الجحيم.

في حجرته ينزع كل نياشينه، وألقابه، وشهاداته، ويبدأ في
نشيح مرير كالأطفال.

هذه المفردات، التي تقف في طابور طويل أمامك، كلّ صباح،
تحلم أن تسمّيها فقط.

خلف الأزقة البعيدة، لا أحد يحرس القصائد، غير ظلال معتمة،
وفتيات متوحشات، لا تروّضهن سوى الاستعارة، ومزاج
جهنمي!!

القفز فوق النار، أن تغرّد وحيداً خارج السرب!
ساعة بعد ساعة، تؤكد البلاغة عجزها أمام هذه الفضاءات
الكونية.

أيها الجسد: عليك أن تنتفض، ولو بعد الموت!!
الربيع لا يطلب إذنًا من أحد!!

المرأة إرثٌ من الفخاخ، نلثت صوبها مغمورين بالفرح، دون
مبالاة!!

"ضمد" هذه الفاتنة تحتاج إلى ساحر يحتويها في قبّعتها، ثمّ يخرجها
طائراً من غير سوء. هي مكتوبة في رواق القلب، الذي عبره
الأسلاف يوماً إلى العدم، وهي تنتظر أن يعودوا إلى الدار، غداً،
أو بعد غد!!

تذهب حقيقته إلى العمل، بينما يمكث في البيت جاثياً أمام هشيم
اللوعة.

البنّت التي سرقت حكايات الليل، لن تغادر فراديس الكتابة. هي
الآن تفرد ثيابها للريح، حتى لا يملأها الحو.

يستحقّ مقبض الباب أن يتزيّن قبل أن تفاجئه بعبورها.

الحب وثن، نحمل كبرياءنا قرباناً له، على خشب الطاعة العمياء.
العاشق: رجل يمارس التآمر ضدّ قلبه، ويتحالف مع الخييات!!
عندما تعبرين في داخلي.. يتحوّل جسدي إلى مدفأة!!
لم يكن حبّاً. كان شجراً هارباً في الخرائط!
أيتها المرأة، قولي لنا: أيّ المسالك أكثر أمناً إلى عتباتك
الغامضة!؟

كيف تخرجين من حبر الخرافة، ومن نزيف الغياب، أكثر فتنة
من الباطل؟!

قلت لك: اهبطي في ظلمة روحي، دون أن يחדش ذلك شيئاً من
ألقك الفضيل.

ابتسامتها، طائر نادر، يعبر الحدود دون أحتام وجوازات!!

أريدك في واقعي، لا جملة في قصيدة.

باتجاهك، تتدافع القصائد الشريرة. وحدي، وحدي فقط، كنت
شاهداً على الجريمة!!

على الملاء: حبّك، ليس تجارة رابحة!
ليديك ذاكرة، ليس لها مخرج للطوارئ!!
حين تصمتين، ليس ثمة ما يقال، زلزال يضرب الكلمات!!
من عينيها، يتوضأ الشهداء، وتغسل الريح أقدامها.
منذ شهور، وأنت تخططين شقوق كلماته بعناية فائقة.
هو: يفك أزرار الحكاية.. هي: تزتر ثوب الغيم الواسع.

في الليل، يطلق بخور خرافاته، ويعيد طيور خطيئاته الأولى إلى الحياة.

يتقدّم بين جثث الكلمات، وينقي أصابعها من الذنب، دون أن تتعثر خطواته.

كان فتىً عادياً، عندما حركت سنابله، خلف دولاب الملابس، وقرأت عليه، نشيد القمح الفصيح.

انظري.. كيف يحرس العالم - طوعاً أو كرهاً - أقاليمك السريّة.

جسدك، أطلّس الغيم، وجغرافيا الينابيع.

يد الحياة، مضرّجة بالأنوثة.

بينما تضبطين الطقس، يكون جسدي صيفه غائم.

معك فقط، أدخل هذا العالم، دون أن أضلّ السبيل.

تكونين أشدّ غموضاً، عندما تحاول المفردات اصطيداك في شراك القصيدة.

آية جنة أُلقتُ بها للطبيعة هذه المرأة الجارحة؟
لك وحدك، تفتح القصيدة ذراعيها، لكنك تدخلين مخفورة
بالمطر والبروق.
عندما تغييبين، لا يدلّنا على مقامك سوى النوارس.
لأجلنا، تبقيين متيقظة طوال الليل، تلمّين ما تبقى من الشمس،
وأخطاءنا الصغيرة.
لا تكتبين القصيدة، غير أن جناحيك يصّاعدان في سماء القافية.

عندما تتكاثرين في أعماقي، يلمع قمر كريم في منتصف الظهيرة.
ألف سبب، يجعل الطفولة، رهينة في يديك.
لا تمثلي بقلبه.. غطيّه بخيالاتك الشبقة.
هكذا أنت، عندما تذهبين، لا تلتفتين إلى طرائدك.
اسمك، اسمك فقط، يكثر البركة في البيت، ويحفظ الأهلّة في
مخازن الذرة.

شجرة القصيدة

مهرجان الألم

فسحة من الكلمات، وقليل من الضوء النبيل؛ ذلك ما يدّخره
الشعراء في مواجهة العالم!

كل كتابة جديدة، تفتح نافذة في العراء، وتصنع أرجوحة لأطفال
القرى البعيدة.

القصيدة: تلويحه الحطّاب الأخيرة في طريقه إلى شجر الكلمات.
في قلوب الشعراء مهرجانات من الألم.

يا إلهي: كل هذا الأفق المفتوح، ويضيق بنا!
أيتها العتمة: كم مضى من الوقت ونحن ننتظر الخلاص؟!
المرأة سلاله لا تفنى، إنها تقيم في بدن الطبيعة.
يا لهذا الطريق، الذي يعث الآن بالكلمات، نسير عليه، ولا
نصل المنتهى!
الكتابة سلاحنا الأبيض للثأر من الوحشة.

الطفولة: نص مكتوب بأخطاء، تم ارتكابها عن قصد!
القلق: الإرث الوحيد الذي يهبه الشعراء لأحفادهم!
الحب فخاخ من الفضّة، تفضي بك إلى مجزرة ناعمة.
لكم القصور الشاهقة، ودعوا لنا الظلال، الظلال فقط!
لم يكن هذا الليل استثنائيا، بالقدر الذي يحرضك على تعريّة
البراهين.

من النافذة، يدخل الهذيان، كجراد موسمي!!
القصيدة: الفعل النبيل الذي يحرق اليقين عمدا.
الكتابة شهوة نبيلة ضد المحو، وأولى المحاولات لمناهضة التسلط
والطغيان.
تحرير الكلمات، هو الفعل السري لتحرير الإنسان.

بالحنين فقط.. تتدثر الأشجار في عتمة المساء!!
الليل: انقلاب ابيض على السيدة الشمس!
لولا المرأة.. ما سبب وجودك في هذه الصحراء؟!
الليل مدُّ لازم، الوقوف عليه واجب!

يا لهذا الحب، الذي لم يستنفد التعبير عن نفسه منذ آلاف
السنين!

هذا الأرق المتكبر، لا يزال كمروحة ورقية فوق رأسي!
كيف يمكن أن يكون للأبيض كل هذا التناقض؛ في الطرحة
والكفن!

الأرق: فكرة مدسوسة، في وعي الليل.

في الليل ترتجف الأبجدية، وتضرم النيران في بدنها.
فقط، في أعماق الفقراء، يقول الوطن أناشيده العظيمة.
الشعر: انتفاضة طائر، يؤدّي مهمته الأولى في التحليق.
العصافير لا تغرد في الصحاري المقفرة؛ تهلك أثناء عبورها!

استبدل الوجوه، وتحفّف من أوجاعك، واجلب البعيدين
لمسامرتك، في محاولة لمقارعة الهزيمة.

القصيدة وقاية ضد المحو.

أبي: لا تزال الكتابة ساجدة تحت عرشك رغم الغياب.

أيها الحب: خذ فانوسك، وامض على مهل، أيامي محمومة، وأنا
مثقل بالعزلة.

مَنْ سِوَى الشَّعْرَاءِ، يَدْفَعُ ثَمَنَ الْوَحْشَةِ؟؟!!
فِي الْقَصِيدَةِ فَقَطْ؛ تَتَنَفَّسُ أَجْسَادُنَا هَوَاءَ اللَّذَّةِ، بِحَرِيَّةِ شَرَسَةٍ!!
أَعِيدُوا لِي قَلْبِي، وَلِلْحَبِّ رَبِّ يَحْمِيهِ!!
الْخُلَاءُ أَشْرَفُ مَنْ أَنْ تَكُونَ فِي عِبَادَةِ أَحَد!!

الرياح: الصورة الأخرى للكتابة، لكن، بحقيبة فارغة من المجاز.
أيها العطش الأبديّ: متى تأذن لعربات المطر؟؟!!
النساء شجر مثمر بالإثم والفضيلة.
ليس بوسعنا أن نختفي بلا أثر.
الأمهات: أنوار تهبّط من الأعالي، يهددن كوايسنا المزمّنة،
وييخّرن المدى قبل مجيء الغزاة.

القصيدة التي لا تحمل أسماءك، تدير ظهرها للشاعر، وتعلق
الأبواب، ثم تطفئ الأنوار خلفه!

الفجر: عقاب الليل الذي يفتح دائماً الباب على مصراعيه.

في هذه اللحظة المهادنة، من يحرس الحقول البعيدة؟

كائنات الليل، تعاود الظهور، بأقنعة جديدة، حتى في الشعر.

الحب: فتىً مراهق، له أخطاء فاحشة، يقنعنا بها أحياناً!

القلق عنصر تهديد للكائن البشري، لا تحتفي به سوى القصيدة.

الرمضاء في الداخل.

في وطن الكلمات؛ الكل أمام الليل واحد.

القصيدة: العقاب الوحيد الذي نستجديه.

يسكنني هوس خفيّ بقراءة الكتابة على الجدران، والمباني
المهجورة!

الليل ينتج كل مشتقات الحزن العظيم، ببذخ نادر.

قليل من البوح، يطهرّ الفكرة من أدرانها.

كائنات أسطورية، ذات حضور كثيف، هي ما يستعين به
الشعراء على قصائدهم.

يا لهذا الليل المفرط في التناسخ.

الجنس والشعر، أسلحة خفيّة ضدّ الفناء.

الدم في جهة، والكتابة في جهة أخرى.. لكن، الدم للفردوس
أسرع!

حرب غير عادلة، بين هذه الكوارث، والكلمات!!

القصيدة دعوة إلى نزعة بدائية متوحشة، تحتاج كلَّ شيء،
وتفتقر إلى العقل أحياناً.

معسكران منقسمان؛ قلبي، وهذا العالم.

لا تتصوّرين مدى سعادة المفردات، وأنت تقومين بتنظيفها كلَّ
مساء في غرفتك الخاصة، بعيداً عن العائلة!!

خذي تاجك أيتها النزوات، ريثما يتعافى السحرة من مجازاتهم.

بالتأكيد أنت تراوغ عندما تمعن في الغموض، تكون أسرارك
أكثر عرياً ووضوحاً. القصيدة قلبها أبيض، ولا تعرف التضليل
أيها الشاعر.

هل يمكن لكل هذه الكتابة، أن تفتح نافذة مغلقة!

أيها اليقين: أين كنتَ عندما سقطتُ قبالة شهقتها؟

هكذا أنت؛ فخورة جداً بقتلاك، وتغادرين اللغة بمهارة فائقة.

ألا يكفي كلّ هذا الفراغ العظيم مرعى للقصيدة؟
وجهها يحرّر السراب من عزلته، ويرشو الظلام.
عندما تحضرين، تستحمّ الكتابة في نشوة فاحرة.
أحرس ما تبقى من ذكرياتك، مخافة أن يداهما سيل الغياب.

السريـر الـذي أشـعلتـه بالـحنين، أذهله الفقد، ووجهك الداكن
بالسفر.

لم يحدث أن شربت صوتاً قبلك.

أنت مشاغبة جداً، حين تكونين طبيعية.

جربني مرّة أن تضمّي الغيم للغيم، وتجاهري بالجنون.

شجرة العزلة

يكا د صمتها يضيء

أيها الطعّاء: تشاهدون الهزيمة تجرّني إلى فراشها، وتتساءلون: لماذا
الكتابة؟

هذه العزلة ترّبي آلامي، كسيّدة بيت مجتهدة.

الشجرة التي في كتاب الجغرافيا، كانت تضع رأسها على
كتفك، قبيل النوم!! اكتشاف متأخّر.

الحزن راية بيضاء في ساعات الهزيمة، فنّاص ماهر يتقن التصويب
نحو القلب.

الموتى، لم يموتوا أبداً، باقون في ذاكرتنا، وربما أكثر مما لو كانوا
أحياء!

لا يوجد عمل حقير مادام شريفاً.. نصيحة الأغنياء والمترفين منذ
الأزل، للعاطلين والفقراء!

العزلة فاتحة التحرر، وطقسها السري الأول!!

عندما يتبدى وجهك في منتصف القصيدة، تغضّ الفكرة من
بصرها، خوفاً على مصيرها الجهنمي!

حتى خياراتنا في الحياة، ليست متاحة لنا بشكل كافٍ..
يا للخيبة.

هذا، أفضل بكثير، من حمل الهزائم كلها.

ها قد عرفت أن للكلمات سهيلا يتصاعد في الأفق بلا أجنحة،
أو ألعاب بهلوانية.

البوصلة من أوائل الذين تحيّزوا للشمال ضدّ الجنوب!!

أشياء كثيرة لا يمكن أن نخطئها حتى في الظلام!

تتحول الطفولة إلى فراشة، عندما نتعثّر في العتمة، ولا نحسن
ابتكار الضوء.

ها أنت تصعد درجات العزلة بوجه ضجر.. إنها بسملة المهازل.

لكم البحر والرمل، ودعوا لي كتابة قصيدة واحدة عن العطش!
أمي: هل تأكدتِ أنني لا أتنفّس. لا يعلم أحد بهذا الأمر..
أرجوك أن تقسمي لي.
كل سنة، ينظر العيد من نافذته، ويشاهد القرى البعيدة، عزلاء،
إلا من مزامير المسرّة.
لا تتسلّل خلسة أيّها الليل، طرائدك بين الصحو والغيوبة، تنتظر
الخلاص.

أبي: لا تزال صورتك بالأبيض والأسود معلقة على الجدار،
تنظر للسماء البعيدة، ولا تغادر الغرفة إلا لسقي الزرع. أعرف
أنه عمل مسلّ، للموتى والفلاحين!

الآن، تعاقبك اللغة الكاذبة، وتوبخك الذكريات.

مجازر، تتعرّى بمجون فاحش، في وجوه ضحاياها، موت يمزج
الضوء والعتمة، بوحشية نادرة.

الليل: غرق المراكب الآمنة، اشتباك حميم بين الطرقات والمارة.
الليل.. نصّ مواز للفقد والوحشة.

هناك، شجر مدجج، بالعطش والحنين.
تلك الحشود الهائلة من الذكريات، لن تقبض عليها إلا الكلمات.
في العزلة، يصعد حتى جبهة الحلم، دون أن تتعثّر قدماه.
في طفولتنا البعيدة، سعادات من ورق، تزهر على مدار العمر.
ليس في ذاكرتي، غير بكتيريا المدينة، ومطر يتمدد في بهو الغربة.
كان أبي يقول: الفقير من لا يكسر السياج في زمن الفجيعة.

الحرية تقتنص طرائدها، دون مباركة من أحد.
الكتابة رقصة جنونية في حديقة المسرات، تحوّل المفردات إلى
طيور ملوّنة، وكرات تتقاذف في الهواء.
لا عاصم اليوم لك من دنس الظن، والمجد المزور سوى القصيدة.
العزلة هي الدثار السري، الذي نتلفّع به من الشياطين!!
ما بيننا، كان شبيهاً بخطأ مطبعي!

أيتها العزلة.. يكاد صمتك يضيء.

الفقر: قطعة متوحشة في دولاب الملابس، تنتظر فقط فتح الأبواب.

أنا على يقين، أنك لو ذهبت بعيدا، لن تصطاد هذا الليل المشاكس.

المستقبل: سرد حكاية مملة قبل النوم.

الإعلانات التجارية: تسوّل الأغنياء المشروع.

الحرية: الهواء الأول، الذي تتلقّفه حناجرنا.

وجه واحد لليل، الكل يمارس التعسف في تأويله.

الرواة مطمئنون جداً، لا نزال نتمدد في إغفاءة طويلة، على
سرير حريري!

الليل: مصطلح مزدحم بالمسوخ والوحوش.

في هذا الفراغ الكبير؛ تتكسر مثل كأس، وتتقاذفك الجهات
للجهات.

لم أقدر على نسيان البهجة، التي منحها لي أبي في ليالي العيد..
طعم، لم يبرح مذاقه فمي حتى الآن.

شجرة الآخرين

نحل رهيبة.. اسمه الذكرى

ليس بمقدورك أن تكرر النسيان نفسه، وتحمل وحدك مخاض الذكرى.

أبي: لا أتذكر عنك إلا القليل، لكنك في وجوه الناس كلهم.
لا أريد أن أظهار بأنني أكثر فصاحة من الجحيم.
ليست لديّ حماسة لعقد صفقة مشبوهة مع هذا العالم.

فقير كل من يتسول النشوة ويستند على حائط الظلمة.
بعد سماع نشرات الأخبار ترشح شاشة التلفاز دموعاً سوداء
وغازات سامّة وجثثاً تملأ أرضيّة الغرفة!
نعم، هي الأرض تحفظ أسرار المطر مثلما يحفظ الفلاحون
حكايات الحقول.
الليل قصير جداً. حرفان لّينان، وياء لا تستوعب تعب الظهيرة.

أمي: حتى بعد الموت، لا تزالين أول من يستيقظ في البيت وآخر
من يأوي إلى الفراش!

بقوة يقبض الجدار على ذراعي الباب، ورعشة خفية تغمر
جسديهما. نشاهد ذلك، من دون أن نغمض أعيننا أو نخجل!
العيد: شهقة حقل في خلاء بعيد.

الجنون يحرر الطاقات ويطلق كوامنها الخفية.

أبي: لا تغضب، لم أزل أقل كفاءة أمام النزوات الباسلة!
ظمان.. لكن وجعي ماؤه مالح.

الكلمات الفضفاضة أشبه ببندق صيد معلقة على الحائط، لكثرة
رؤيتها أصبحت لا تثير الرعب في أحد!

هذا الصرير المتواصل للأبواب ربما يصيبها بالهذيان.. رفقاُ بها.
ما لم تتحرر من الخوف لن تقبض على اليقين!

قسوة الليل والوحدة أشد من قدرة الأبواب على التحمل. أمر
محزن ألا يكون لها مكان آخر.

الأرق: رجل عجوز يثرثر بلغة مطمئنة.

ليس بالضرورة أن يكون الشرير قبيحاً.

الطفولة ثروة من الألوان الحميمة، يتأجج ألقتها بالكتابة.

هناك أشياء كثيرة لا يمكن للمطر أن يغسلها!

أبي: لا أريد إيقاظك في ضريحك الآن، لكنه نصل رهيف
يغوص في عظمي، اسمه الذكرى.

تعرية الذات الخطوة الأولى في الطريق للوقار.

الفجر: الفصل الأخير من رواية الليل الفتنازية.

أجل، لقد وقع جسدي في فخ الأرق المتوحش، ولم أكن مستعداً
كما يجب.

الحياة والدنيا مفردتان أنثويتان، والموت والردى مذكران! انخياز
سافر من اللغة الأنثى.

الليل رمز للعلاقة الملتبسة بالمرّات والأبواب.

العيد أخذ على نفسه عهداً بآلا يراه أحد، غير من يكون الضوء
أقرب إلى قلبه مما مضى.

حتى لا تفتك بنا الأوقات، ليس لنا إلا سيف الكتابة، نشهره في
وجهها.

لا شيء يلوح في هذا الطريق الطويل، يستفزّ البصر والبصيرة!

للليل ارتباط حميم بالكبت.

على رغم عينه الثاقبة وهياج بلاغته لم يتعرّف على وجهه حتى
مع مرور كل هذه الأوقات.

لست متيقناً من شيء. الطفل الذي كانت تفتنه الخرافة، لا تزال
طيور السأم تتغذى على ذاكرته!

أمام الخرائب الكبيرة، لا يمكنك أن تنتصر على أحد.
أمي: لازلتُ أكلّم الشياطين، وأرتدي في العيد ملابس الحداد.
فرحت كثيرا عندما تعلم ولدي الكلام، واليوم أنا من يعلمه
الصمت!
لماذا لا نصدّق أن الأبواب تعرف ما يجري بالداخل!!

وحدها بيوت الفقراء تبدأ الثروة الصاخبة مع العيد، دون أن
ينتبه لذلك أحد!

الحرية خروج للحياة، دون وثيقة سفر.

الرغبة أنبل اكتشاف فطري، ساهم قليلا في تخليص المرء من
العقلانية.

لا طائل من الانتظار. لا شيء يحدث في هذا العالم، غير الخواء،
والتكرار الممل.

الليل يكشف، والنهار يستر!! يا لمفاراتك أيتها الطبيعة.
هل تشعر تلك الأبواب المهجورة بالملل؟
المرأة فضيلة الجوهر، وسيرة الحلول الأبدية.
الحياة: امرأة تدخن بشراة، دائما تنظر إلينا بوصفنا أولاداً
سيئين!

لا تنهض من موتك، حتى تعود البلاد قصائد عارية، وضمائر
مترعة بالشبق والعبير.

لا أعرف شيئاً، أحترم به نفسي، سوى الكتابة.

شجرة الحزن

محراث الكتابة،

وأول من يتحرّش بالقصيدة

ما يتلوه البحر للقراصنة، لا يكفي لترميم هذا الخراب.
ليس هناك شهود بيننا، غير أغنية شعبية، وقصائد فاسقة.
تبدو الشمس متعبة هذا الصباح، ربما لم تنم ليلة البارحة. مما
يكفي.
أنا وأنت وثالثنا الشيطان. لم يبق لنا خيار آخر.
لن أفرط في حزني، إنه محراث الكتابة، وأول من يتحرش
بالقصيدة.

فشلت أن أجد نفسي، حتى بين قائمة الموتى.
لأنّ الحزن يقف قبالة، كان مضطراً لأن يرث ما تبقى من
سكينته الصاخبة.
من أين يشرق كلّ هذا الضوء الجامح يا شهرزاد، حتى في عتمة
الليل؟!
الشجاعة الحقيقية أن تقرأ هزائمك المتوالية بحواسك الخمس، وإلاّ
فأنت على موعد مع الموت.

اللغة وحدها، تستطيع اعتقال الطبيعة في زناينة الكلمات.
حتى الهواء غير نكهته! لن يخدعك أحد بعد ذلك.
اتبع إيقاع قلبك، وامش ضد التيار، ليس هناك أحد سواك.
أيتها الشمس لا تعودي إلى منزلك متأخرة ككل مساء، أنت
تناضلين لأجل قضية خاسرة.

لسنا فاسقين، حين يتمادى هذا العشق كخنجر صغير يلمع في
قلوبنا.

لأننا تلاميذ طيبون، نتنازل عن المستقبل لأجل ماضٍ لن يعود.
نفعل ذلك وعلى وجوهنا ابتسامة ساذجة.

المرأة دائما مخلصه لمهمّتها الأزلية في إغراق الرجل.

هكذا، فجأة، أصبحنا أكثر حزنا، دون أن نقدر على فهم
السبب.

الليل على وشك أن يتكسّر، قبل أن يتمّ ساعته الرابعة والعشرين.

في حضرتك.. لا تثريب على التيجان إن فقدتْ بريقها.

أيها الفجر قل لي: كيف تمزّم الظلمة المتغطرة، وتلقن العصافير
هذا الغناء العجري؟

حتى اللحظة، لا أعرف الأسماء الحسنى لحزني العظيم!!

وحدهم الشعراء، يعيدون لليل كرامته.

لم تتمكن القراءة من تحييد الألم، ها هو يتمدد بفخامة على
السريـر، لقد ظل مستيقظا طوال الليل.

الحياة.. لم تعد جديرة بالحياة.

الحزن: نشيد الأشجار الغامض، قبل السقوط أمام أقدام
الخطّايين.

لن ترى شيئاً؛ هذه النوافذ مثلك تماماً، لا تطلّ سوى على
الظلمات.

استطعت أن أستدلّ عليك من رائحة عطرك في هذا الواقع
الافتراضي، دون بحث في قوغل.

مشمس هذا الليل.. لقد رتق المسافة بين الظلمة والنور، دون أن
يقول لماذا.

أيّ ليل هذا! عندما لا يستقبل أحلامي بأقدامها الحافية؟!
ما يمكن أن تفعله القصيدة.. أن تجعل قلبك مثل قبر مفتوح.

جسدك لم يزل في البحر يتفجّر بالحكايات.. هكذا يهمس
الأحفاد قبل النوم بقليل.

الحياد جسر واحد بين الأرض والسماء، بين الظلمة والنور، بين نعم
ولا.

ينام فاسقا ويصحو زاهدا. في الليل أبو نواس وفي النهار أبو
العتاهية.

بحثا عن اليقين، ولّيت وجهي صوب الخطيئة، ربما تكونين هناك
تحملين آثار دمي.

دون مقدّمات؛ أنا من قمت بغواية الشيطان، وليس العكس.

شجرة اللوعة

ملائكة يتعاقبون على ظلّها

دائماً تتعثر قلوب الصبية في شراك عباؤك عندما ترفعينها قليلاً.
صغيراً كان، عندما استنسخوه من سلالة أصنامهم، ولاذوا
بالفرار.

حان الوقت لنصحب الحقائق للنزهة.. كفى أناثية!
أيها الليل: لا تهزأ من ضلالي المبين، وحكمتي الفاجرة.
جسدك ينتفض حين أهمّ بالكتابة. يعرف جيداً أنني تيّمت بعده.
الشرفات التي لا تطلّين منها، حجارة صمّاء.

أوقفتني القصيدة، ثم قالت: ملائكة يتعاقبون على ظلها بكرة وأصيلاً.

هل كانت القصيدة شريكة لنا في الغواية..؟ هكذا تسألين كل صباح.

من أين تجيء هذه المرأة التي تصنع خصوبة الرؤيا؟ لا أحد يدري.
الظلمة أكثر إنسانية من المصاييح. فليبق الضوء بعيداً، حتى
نتمكن من فعل ما نفكر فيه.

ما من مائدة، إلا وكنت فاكهتها.

تتكاثرين في الجهات، وتفوحين بالخطايا، لكنك
لا تعترفين بالنسل، وسقوط الأندلس.
هذاك آخر طقوس الحرية، وأول رهان القصيدة.
بتحدّ فاجر؛ جسدك يحتال على العدم، ويكتب مجده بحبر
الشهوة.
أيتها القصيدة: وحدك في البرية، وضراوة المهجير، لا جدار
يسندك، ويخلصك من مكر العالم.

كم تشبهي هذه الصحراء التي لا أم لها، كالانا ينام على خبز
الذكرى المالح.

لم يعد مهماً أن تعرف أسماء الموتى، ما داموا ينتظرونك في عتمة
البهو، لا يحملون سوى القدر الذي يتباهون به.

خلف الأبواب.. كلنا يمارس الحنين بطريقة همجية.

قبل أن تتحرر من سجنك، لا يمكنك أن تعرف معنى الشفاعة،
وقصائد بوشكين.

إذا لم يكن الصباح في قلبك، فأنت في ظلمة حالكة.

أحترم الشجرة التي تصطاد غيمتها.

... أمّا البحر فلم يزل يكفّر عن ذنبه بين أصابعها.

فقط، امرأة واحدة، ووحيدة، تجعل من جسدي طقساً لصلاتها.

هل أنت متأكد من أنك تريد أن ترمي الليل في سلة المحذوفات؟

بعد نهاية الحرب، كان الشعراء أول القرايين على مذبحها الوثني.

تطلّين من شجر المخيّلة، وتمدّين معطفك على ليالينا الباردة.
عندما نستتر خلف جدران بيوتنا، تتصاعد أنفاسنا بين شهيق
وزفير، ونمارس في الخفاء رقصة زوربا.
وحدها الجثث التي يلفظها البحر.
حتى في ساعات اليقين، يقف بيننا مطر متوتّر وكثيب!
كل المفردات تلقي بنياشين انتصاراتها بين يديك. لا تعبر، حتى
تأمرين القصيدة أن تجيء، وتبتكرين لها تيهًا جديدًا.

ليس لنا سوى ورق أخضر نستعين به، واضحاً كالهزيمة، والمطر المرتبك.

يحلم بغيمة، لا ترهن أمطارها، وعصافير تسخر من جبروت الأعلي.

لمثل هذا البوح اللاهب خُلق الليل.

هذه المجازات القلقة، من يعيد لها الأمن سواك!

في غيابك، أطلق سراح المخيلة، فأبصر مجازر من ذهب، وفجوراً حميماً.

بقبضة من أترك، يصنع السلاطين نبذهم الفخم، وتثمر قبل
مواسمها أشجار الكروم.

لماذا الليل قصير هكذا؟ لا بأس، ليس من الضروري أن نمدد
أقدامنا.

بهذا الألق الفخم، تكافئين الليل، طالما لم يقدم على الانتحار بعد.
ليس عاراً، أن تجهين رفقة فلكلور شعبي، أو تطلين في فلم
هابط.. فقط، لا تكوني سيّدة عقلانية.

لأننا لم نتذكر خطيئتنا الأولى، جاءت القصائد هشة، والمشاهد
مكتظة بالفوضى.

وحدي أتقدّم في فسطاس جسدها، المسكون بالخرائق والوعود.
لا أدري، أيّ نجم دلّني عليك، ولقن الكتابة درس الفرح.
دون مذبحه يتكبّدها العالم، قطعت وريد الكتابة، ثم رأيتك
تولدين من دوائر دمي.
كانت تباغته وسط الحقول، صائحة به: لا ترتجف، إني اجتبيتك،
معصية، وضلالة
سأكون ربحاً مسلّحة، لرحلتك القادمة!!

قبلة واحدة تختزل كل قصائد الحب.
لستُ سوى طائر، يتهدى، على حقلك الملكي.
المرأة إناء من ثلج، غالبا لا يروي عطشنا الشرس.
يوماً بعد يوم، نصبح شبيهين في كلّ شيء، وتتضاءل الفروقات
بيننا. تلك سعادة فائضة، لا أقدر على احتمالها.
أخيراً، سوف تنام ثملاً، من ذكرياتك الشاحبة.

وحدهم الشعراء، يعيدون لليل كرامته.
لأول مرة، تظهر مراهقته بهذا الجون، وسط سريره المحتشم.
وحيدا، مثل نصل، مذهب بالغدر والخديعة.
الأخضر بهجة الحقل، وكساء الوطن. الأخضر عبور للضفة
الأخرى بقلب مطمئن، وروح لا تعرف النكوص والخذلان.
القصيدة لا تعرف الثرثرة.

الحب تمرين جيّد لترويض الكون.

إنها فاجعة حقيقية أن تطلق أحلامك للريح، وتعود بخيالاتها.

وحدها الكتابة، تستدعي الشياطين الذين يعرفون ذكرياتك
الغامضة، وطفولتك النازفة بالجرح والغواية.

تنتهي القصيدة، وأجنحة الروح لا تزال ترفرف.

هكذا أنتم أيها الشعراء، تدسّون الطعم في القصيدة.

سيرة ذاتية

إبراهيم زولي

شاعر من السعودية

له:

- رويدا باتجاه الأرض، ط1 عن مركز الحضارة العربية بالقاهرة سنة 1996م. وط2 دار طوى/لندن، مع منشورات الجمل 2009.
- أول الرؤيا.. السعودية/نادي جازان الأدبي 1999م.
- الأجساد تسقط في البنفسج، ط1 عن مركز الحضارة العربية بالقاهرة 2006م. وط2 الانتشار العربي/بيروت 2009.
- تأخذه من يديه النهارات.. السعودية/نادي الشرقية الأدبي 2008م.
- رجال يجوبون أعضاءنا.. الانتشار العربي، بيروت 2009.
- قصائد ضالة: كائنات تمارس شعيرة الفوضى.. الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2010.
- من جهة معتمدة.. مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، القاهرة، 2013.

للتواصل

I_zooli@hotmail.com

تويتر @izooli

فيس بوك <http://www.facebook.com/i.zooli>

